



# شهريات

## مع قصتين نموذجيتين

وتتوالى بعد ذلك أحداث صغيرة تمثل لهذا التشويه : عبلة التي تتحول الى جوليت وعنتره الذي يتر يد جوليت عقابا لها على أنها سرقت قلبه ، وليلى التي تتحول الى ديدمونة ، وأنطونيو الذي ينادي نفسه بدلا من كليوباترا ، والرجل الذي يطلب من مدير المسرح تسجيل صوت حركات عينيه ، وموزعة البرامج التي تركب دبابة تنطلق منها النيران ، وبائع السلاح الذي ينادي على صفح للبيع ( لنلاحظ هنا مغزى الشبه بين السلاح والصحافة ) والأسلحة التي تعانق أكتاف الممثلين ..

وهكذا تحمل هذه القصة رموزا كثيرة من الحرب اللبنانية التي كانت مختبرا للجميع ، مواطنين وأجانب ، لبنانيين وعربا ...

وليس من شك في أن ديزي الامير قد كتبت هنا قصة جيدة من حيث الفن القصصي ، ووظفت كل حدث صغير في وظيفته المرصود لها في السياق العام ، وان لم تلتزم أحيانا صرامة قانون الضرورة القصصي الذي يريد لكل تفصيل من تفاصيل القصة أن يوجه في خدمة الهدف العام . فاذا كانت تريد بتصوير المتسولين الواقفين امام باب المسرح يمدون أيديهم يطلبون العون ، ثم بتصوير السيارات الفارهة التي يفتح السائقون أبوابهم وينحنون خاضعين لراكبيها ، وتصوير النساء العاريات الاذرع اللواتي يغطيهن الفراء - اذا اردت بتصوير ذلك كله ابراز التناقض الاجتماعي الذي يحكم الناس في هذا البلد ، وهو ما ينسجم مع غاية القصة في آخر المطاف ، فان من التفاصيل التي لا تخدم هذه الغاية ، فتبدو نافلة في القصة ، تصويرها للمقاعد « المحجوزة سلفا ، وأخرى ظن أصحابها أنها محجوزة لهم وأخرى حجزت الان ، وقد يتغير المقعد فيتقدم الى الصفوف الامامية وقد يتأخر حسب مزاج بائع التذاكر .. » ان أقصى ما تريده الكاتبة هنا هو فضح « مزاج » بائع التذاكر ، وهذا ما لا علاقة له بغاية القصة .

والان ، لا بد من التساؤل حول شخصية مدير المختبر ، هذا الذي كان « يمثل الشباب بكل مظاهره المحببة ، يتسم والسرور يطفح على وجهه وتبرز أسنانه البيضاء اللامعة المصفوفة ، يرفع يدا فتندفع الإبخرة الملونة وينزلها فتهبط » ان مدير المختبر هذا يصاب

من قراءاتي الاخيرة مجموعتان قصصيتان : أولاهما « في دوامة الحب والكراهية » للكاتبة العراقية ديزي الامير التي تتميز أفاصيصها بجو خاص هو نسيج وحده في القصة العربية القصيرة . يقوم على تصوير نفسية المرأة العربية المحبطة في بيئة عدوانية . والمجموعة الثانية للكاتب السوري ياسين رفاعية وعنوانها « الرجال الخطرون » .

وأود هنا أن أتوقف عند قصة واحدة في كل من المجموعتين ، اعتبرها « نموذجية » ومعبرة عن « هموم » كل من الكاتبين .

« مسرحية اكسير الشباب » ، هي محصلة الرؤية الكاملة التي تقود ديزي الامير في فنها القصصي ، وان كان يصعب تجميع خيوطها وفهمها فهما صحيحا اذا لم يستعن القارئ بقراءة قصص اخرى في المجموعة .

انها بادئ ذي بدء ، قصة رمزية تستعير معانيها الرئيسية من رؤية الحرب اللبنانية ، هذه الحرب التي تفرش المؤلف كثيرا من فصولها ومظاهرها في المجموعة . واذن ، فان مسرح هذه القصة هو لبنان ، والمسرحية حرب لبنان . وحين تقول الكاتبة وهي تصف المسرح ان عليه « غرفة مختبر مملوءة بأنابيب تتصل ببعضها .. » فهي تقصد الى ان الجميع ارادوا أن يجعلوا من لبنان « مختبرا » لتجاربه السياسية والعسكرية ، والانابيب هي وسائل هذه التجارب ، وتفاعل السوائل التي تتنقل بين الانابيب هو الذي ينتج هذه العجائب التي تشوه الحقائق وتغيرها وتسوقها خارج مسارها .

وجو الرعب الذي ترمي القصة الى تصويره ، كلوحة عن حرب لبنان ، يتخذ ملمحه الاول ببدء المسرحية . فبدلا من الدقات المعروفة التي تستهل بها المسرحيات على خشبة المسرح ، تأتي « طلقات رصاص من مسدسات وبنادق عرف بعض الحضور أنواعها .. » . وهذا يعني قبل كل شيء تشويه الحقائق ، هذا التشويه الذي يعبر عنه بعض حضور المسرحية بأقوالهم المتعاقبة : « أظنهم أخطأوا في طبع البرنامج .. » ، « هذه ليست المسرحية التي ننتظر .. » ، « الذنب ذنب الملحن الذي غير الحوار . » ، « مصمم الازياء الذي ألبس الناس ثيابا غير ثيابهم . »

بالارتباك والاضطراب في أثناء المسرحية ، ثم يفقد أسنانه  
وتصطك مفاصله ويتحول الى شيخ عجوز ...

انني أتساءل هنا : الى من يرمز مدير المختبر هذا ؟  
هل تقصد به المؤلفة يد الاستعمار الاجنبي الذي يقف وراء  
هذه التجارب في الحرب اللبنانية، وتنبأ بأنه سيفشل في  
النهاية ويفقد شبابه ويصير الى العجز ؟

اذا لم يكن هذا ما تقصد اليه ، فقد فاتنا مغزاه ،  
اما اذا كان هذا هو الرمز ، فان قصة ديزي الامير  
تختلف عن روح معظم اقصيصها الاخرى ، وهو ما يعدل  
في الحكم التقييمي الذي يخرج به قاريء مجموعتها هذه .  
فالواقع ان هذه الاقصيص ذات رؤية واحدة ، هي ادانة  
الحرب اللبنانية بكل وجوها ، ومن غير تمييز للمشاركين  
فيها ، وتبني وصفها بأنها حرب « قدرة » ، وان جميع  
الذين خاضوها لصوص لا قضية لهم ... وقد كنت وما  
ازال علي خلاف مع الصديقة ديزي حول هذه الرؤية .  
لان تصرفات بعض الافراد والمجموعات التي تشوه حقيقة  
الصراع ، لا تبرر اطلاقا الاعتقاد بأن الذين استشهدوا  
وما يزالون يستشهدون ، من اللبنانيين والفلسطينيين ،  
انما كانوا مخدوعين ، وكان استشهادهم مجانيا .

اقول ان رمز مدير المختبر ، يكون رمزا ايجابيا  
في المصير الذي يؤول اليه ، لانه يعني أنه اخفق في  
خطته ومؤامراته ، وان الذين فشلوا هذه المؤامرة هم  
المقاتلون الشرفاء في الحرب اللبنانية ، وبهذا تكون ديزي  
الامير ، في هذه القصة على الاقل ، ملتزمة هي أيضا  
بقضية الشعب اللبناني الحقيقية ، وهي القضية التي لا  
تنفصل عن القضية الفلسطينية .

\*\*\*

اما « صرصار » ياسين رفاعية فهو الانسان الذي  
سحقه أنظمة القمع ، كما سحق قدم الشرطي الحشرة .

والواقع ان هذا الموضوع هو الموضوع الاثير للكاتب  
في معظم قصص مجموعة «الرجال الخطرون» ، وهو الذي  
عالجه قبله زكريا تامر في مجاميعه السابقة ولا سيما  
« الثمور في اليوم العاشر » ، كما ان الكاتب الفرنسي  
هنري شاربير قد اورد في روايته « فراشة » مشهدا  
قريبا من مشهد « الصرصار » في السجن .

وميزة هذه الاقصوصة بالذات شفافية مرهفة تملك  
طاقة ايحائية كبيرة يفنيها عن كل تعليق أو تقرير أو  
تدخل . كانت نفسية بطل القصة ، في احساسه بالظلم  
والانسحاق ، كتلة من الارهاق تتنبه لكل حركة ونأمة  
وصوت . من أجل ذلك ، دخل الصرصار حلبة الصراع  
بطلا رئيسيا يسقط عليه السجن كل مشاعره وخيالاته ،  
ويقوم معه حوارا هو الصمت البالغ الفصاحة . حتى أنه  
يتخيله وهو يتكلم ويجيب على أسئلته ، فيصور عبره كل  
انعكاساته النفسية . ولكي يدين الكاتب القمع ، يكفيه

أن يوحى بأن العلاقة مع الحشرات والحيوانات هي أكثر  
انسانية من العلاقة مع بعض البشر . وهذا الود الذي  
يقوم بين السجين والصرصار مشحون بالدلالة الأساسية  
المرتبطة بالارهاب .

وقد صور ياسين رفاعية في قصتي « المطاردة »  
و « لماذا » من المجموعة نفسها هلوسة حادة تنتاب  
البطلين بفعل الذعر الشديد الذي يملكهما من التعقب  
والملاحقة ، والرعب من وقوعهما ضحيتين لخطأ متعمد أو  
مجاني .

وعلى صعيد التكنيك القصصي ، كانت خاتمة القصة  
بارعة حقا ، وهي مما يسمى « الخاتمة المعلقة » التي  
ترك القاريء على تعطشه لمعرفة مصير يطرحه الكاتب .  
فنحن لا نستطيع الا أن نسأل : هل اطلق سراح السجين  
أم سيق الى الاعدام ؟ لقد تفادى رفاعية الاجابة على هذا  
السؤال لان غايته ليست هذه ، فالقصة هي قصة  
الصرصار أولا ، وربما استطاع القاريء أن يستنتج من  
سحق الحشرة رمزا لامكانية سحق الانسان . هذا امر  
ثانوي . فالهم ان الكاتب بلغ ما يريد : ادانة للقمع .  
وهكذا يلتزم ياسين رفاعية ، هو أيضا ، موقف المثقفين  
الاحرار الذين لا ترهبهم فاشية الأنظمة العربية .

سهيل ادريس

صدر حديثا

## الاقصص

مجموعة قصص لـ

عبد الرحمن الربيعي

منشورات دار الآداب